أبدان المشركين، فإنما هي رجاسة روحية لهم هي أرجس وأنجس من أرواح الكافرين، ولذلك ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

فذلك - إذاً - تجسيم حسي للدنس المعنوي، ترجيساً لأرواحهم النحسة، مما يدعو إلى التقذر والاشمئزاز، فهم رجس يلوث الأرواح، ونجس يدنس المشاعر، كالجثة المنتنة في وسط الأحياء حيث تؤذي وتعدي.

وهنا نتبين أن التجنب عن الأرجاس الروحية هو واجب المؤمنين، اللّهم إلّا إذا أثرت فيهم الدعوة الربانية أو أحتمل التأثير، فأما إذا كان ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] فهنا الإعراض عنهم للمؤمنين، مهما كان للرسول ﷺ موقف آخر هو أوسع من سائر المواقف.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾:

فالمؤمن لا يرضى إلا ما يرضاه الله فكيف ترضون عنهم بحلف وسواه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وفي حديث النبي ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»[3] وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخفف الله أخافه الله من كل شيء».

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦.
(٣) نور الثقلين ٢: ٢٥٤ عن المجمع جاء في الحديث.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا
يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ
ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ
ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟
عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ
ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ
يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا
صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ
مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ
لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ
وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾:

تأتي ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ في عشرة كاملة من نصوص القرآن، في كلها تنديدات بهم إلّا واحد هو: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾[١] مما يدل على أنهم ككل إلا نزر قليل غارقون في الضلالة والمتاهة[٢]، اللّهم إلّا نص ثان قد يعذرهم إذ لمّا يصلوا إلى الإيمان وهم يتحرون عنه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾[٣].

ولا تعني ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ - على كل حال - الأمة العربية، إنما هي من العرب: الظهور، كإعراب الكلمة فإنه إظهارها في حالتها الأدبية في الجملة، والعربي هو الظاهر كما و﴿عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[٤] هو الظاهر المظهر، وفي عربية القرآن ظهوران اثنان: أصل اللغة فإنها أعرب اللغات وأظهرها تأدية لمعانيها، وشاكلة البيان المتميز في القرآن. فهم - إذاً - أهل البوادي، البعيدون بطبيعة المناخ الصحراوي، عن الثقافة الإسلامية، سواء أكانوا من الأمة العربية أم سائر الأمم، دون اختصاص بمن يتكلم باللغة العربية، حيث اللغة ولا سيما العربية لا تخرف أو تضل حتى يكون المتكلم بها أشد كفراً ونفاقاً ممن سواهم، وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ممن سواهم.

فطبيعة البدوية المحشورة مع الدواب، غير المحشورة مع المثقفين في

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٩.
(٢) الدر المنثور ٣: ٢٦٩ - أخرج أبو الشيخ عن ابن سيرين قال: إذا تلا أحدكم هذه الآية ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ...﴾ [التوبة: ٩٧] فليتل الآية الأخرى ولا يسكت ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٩٩].
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

الدين، والبعيدة عن مراكز الثقافة الإسلامية، إنها تبعدهم عن صالح العقلية الإنسانية فضلاً عن العقلية الإيمانية، حيث الغفلة والجفوة والجفاء كأنها أدغمت في طبايعهم، فهم إلى النسناس أقرب منهم إلى الناس.

أذا فهكذا البلاد - مهما كانت عظيمة - البعيدة عن الثقافة الإيمانية بأي سبب كان، إنهم من هؤلاء الأعراب الذين ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا...﴾.

فلقد حق قول الرسول ﷺ: «من بدأ جفا - من سكن البادية جفا»(١) وكان زيد بن صوحان يحدث فقال أعرابي إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريبني، فقال: أم تراها الشمال؟

فقال الأعرابي: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال، قال زيد: صدق الله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا...﴾(٢).

ففي حقل الكفر والنفاق نجد الأعراب ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فكفارهم أشد كفراً ممن سواهم، ومنافقوهم أشد نفاقاً ممن سواهم، وجهالهم بحدود ما أنزل الله على رسوله أجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وهذه الجدارة ناشئة من ظروف حياتهم القاسية العاصية المستعصية وما تنشئه في طباعهم من جفوة ونكدة، وبعد بعيد عن صالح المعرفة، فالمادية الأصيلة في حياتهم لها دور سائد صامد في القيم القمم عندهم من الحصائل المادية.

---

(١) الدر المنثور ٣: ٢٦٩، الأول عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: من بدأ جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن، وما ازداد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً، والثاني عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من سكن..

(٢) المصدر أخرج ابن سعد وابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي قال:..

(٣) الدر المنثور ٣: ٢٦٨ - أخرج أبو الشيخ عن الضحاك في قوله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧] قال: من منافقي المدينة ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧] يعنى الفرائض وما أمروا به عن الجهاد.

فهم - إذاً - في ذلك الثالوث أردئ من المؤمنين، وهذه طبيعة الحال لمن سكن البادية، بادية بادية عن الثقافة الإسلامية مهما كانت مدنية متحضرة بالحضارة المادية.

لذلك نسمع متظافر الحديث يقول: «تفقهوا في الدين فإنه من لم يتفقه في الدين فهو إعرابي - عليكم بالتفقه في الدين ولا تكونوا أعراباً فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزك له عملاً»[١].

وهذا هو المعني من حديث الصادق عليه السلام: «نحن بنو هاشم وشيعتنا العرب وساير الناس الأعراب»[٢] فالعرب هنا هم الظاهرون الباهرون، الفاهمون شرعة الحق بمشايعة الشرعة الهاشمية المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم والأعراب هم البدويون البعيدون عن ذلك.

وهكذا يعني من حديثه الآخر «نحن الناس وشيعتنا أشباه الناس وسائر الناس نسناس» حيث القصد من «شيعتنا» أشياع الحق الصراح القراح، دون خليط بالباطل أياً كان.

إذاً ففي حقل الكفر والنفاق والجهل ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ بمعناها الصالح هم ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ وجهلاً بحدود الله، وفي حقل الإيمان والوفاق والعلم، هم - بطبيعة الحال - أقل حظاً في هذه الزوايا الثلاث.

لذلك كله لم يبعث الله رسولاً قط من الأعراب: البدويين، وإنما من القرى مدناً وسواها: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾[٣].

---

(١) نور الثقلين ٢: ٢٥٤، الأول في الكافي عن علي بن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: . . إن الله يقول في كتابه: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ . . .﴾ [التوبة: ١٢٢] والثاني فيه عن المفضل بن عمر قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: . .

(٢) المصدر.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

وحين يهدي أعرابي لرسول الله ﷺ هدية فيرد عليه بأضعافها حتى يرضى يقول: «لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو أوسي» لأن هؤلاء ليسوا من الأعراب البدويين.

ذلك، ومن قسوتهم أن «قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قالوا: نعم، قالوا: لكنا والله ما نقبل فقال رسول الله ﷺ: وما أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة»(١).

وهكذا نسمع تاريخ الأعراب قبل إسلامهم وبعده عن طابع الجفوة والفظاظة في نفوسهم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾:

﴿وَمِنَ﴾ هؤلاء ﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾ الذين هم أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ مصلحية الحفاظ على ظاهر الإيمان ﴿يَتَّخِذُ﴾ه ﴿مَغْرَمًا﴾ تألفاً، إذ لا يؤمن بالله حتى يكون إنفاقه في سبيل الله فيرجو ثواب الله، ثم ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ السيئة أن تدور بكم وتحور حولكم(٢) جبراً لكسرهم - ولأقل تقدير - رجعا لما أنفقوه من غنيمة وسواها، ولكن ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أنفسهم ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ إذ يرجع إنفاقهم النفاق عليهم وزراً ووبالاً، ولا تدور الدوائر المتربصة لهم على المؤمنين إلّا عليهم أنفسهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بقالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بحالهم وفعالهم، وهذه طبيعتهم الشريرة القاحلة الجاهلة إلّا من هدى الله.

---

(١) من حديث مسلم قال حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أبو أسامة وابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: قدم...

(٢) الدوائر هي الحالات والأزمنة التي تدور حول الإنسان بأعيانها وأشيائها وكأنها هيه وقد اختصت بالمواضع المكروهة التي تدور على الإنسان وتحيره أو تغيره.

ولأن المغرم من الغرم وهو نزول نائبه بالمال، لازبة به، فقد خيّل إلى هؤلاء أن الإنفاق في سبيل الله نائبة لازبة لا مخلص عنها، ثم الدائرة هي الحالة التي تدور بين مختلف الناس، وتتغلب على الحالات السيئة التي تحيط بمن تدور عليه، وهنا ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ تختص بهم سيئاتهم، فقد تدور على المؤمنين دوائر هي ابتلاءات لهم فهي لهم خيّرة مهما تظهر بمظهر السيئة، بل وكضابطة كلّ ما يصيب المؤمن قضية إيمانه هو خير له مهما كان عليه صعباً ملتوياً، وكلما يصيب غير المؤمن قضية فسقه فهو شر له مهما كان له سهلاً وفقاً لما يشتهيه.

إذاً فـ ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ إخبار في موقف دعاء، وفي تقديم الظرف حصر لدائرة السوء فيهم وحسر عن المؤمنين، فمهما تربص الضالون بالمؤمنين دوائر السوء فليس ليصيبهم إلّا خير، وعليهم أنفسهم دائرة السوء.

فلقد ردت عليهم دائرة السوء فلا تفلتهم، وتطبّق عليهم فلا تدعهم، وهكذا نرى المنافقين الجفات كيف يعيشون ضنك الحياة الجهنمية هنا قبل الجحيم هناك: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ...﴾[1].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾:

هؤلاء الأكارم بين أولئك اللئام هم نزر ندر حيث ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فلتة منهم في اللفتة إلى إيمان، وشذوذ عن البدوية البعيدة إلى منجزات الإيمان ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فهناك

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

إنفاق مغرم وهنا إنفاق مغنم، وعلّ جمعية القربات رغم إفراد ﴿مَا يُنفِقُ﴾ هي قضية جمعية النيات والطويات الصالحة في مختلف مجالات الإنفاق في سبيل الله.

هكذا ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ حيث أمر أن يصلي عليهم في صدقاتهم: «وصل عليهم» ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ وهنا الإفراد علّه يعني جنس القربة الشاملة لـ «قربات وصلوات» قربة لهم في الدارين حسب نياتهم واندافاعاتهم الإيمانية، ومن قربة لهم ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾ جزاءً وفاقاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ عن قصوراتهم وتقصيرات لهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم.

فمهما كانت طبيعة الأعرابية بعض الجفوة والغفلة، ولكن الإيمان بالله واليوم الآخر والإنفاق في سبيل الله، هما حسنيان عظيمتان يستحقون بهما قربة ورحمة.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾:

هنا زوايا ثلاث لهندسة الإيمان الصالح هي: ﴿مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ وهم كلهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ حيث الثلاث كلهم مصاديق لهم فلا تعنيان - إذاً - سبقاً زمنياً وأولية زمنية، إنما هما السبقة والأولية في الصبغة الإيمانية في مثلث الزمان، فالذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، أولئك هم مع هؤلاء على سواء ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ...﴾ بدرجاتها حسب الدرجات.

فرغم ما يهواه الخليفة عمر ومن ينحو منحاه لا رجاجة للمهاجرين على الأنصار لسبقهم عليهم في زمن الإيمان، ولا لهما فضل على الذين اتبعوهم بإحسان، فإن فواصل الزمان والمكان، والموقعية التأريخية والجغرافية

أماهيه ليست بالتي تفضّل زاوية من هذه الثلاث على الأخرى اللّهم إلّا بسبقة الصبغة الإيمانية مهما كان صاحبها بعيداً زماناً ومكاناً ونسبة عن الرسول ﷺ والذين معه(١).

فحين يهوى الخليفة إسقاط الواو بين ﴿وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ ليجعل الأنصار من أتباع المهاجرين لأنه منهم، يصرخ صارخ الحق: أين الواو يا خليفة رسول الله ﷺ؟! وخلافاً لما يهواه عمر نسمع الرسول ﷺ يبجل الأنصار أكثر من المهاجرين بكثير لأنهم نصروه أكثر منهم ومن ذلك قوله ﷺ: لو لا الهجرة كنت امرء من الأنصار(٢).

(١) الدر المنثور ٣: ٢٦٩ - أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي قال: مر عمر برجل يقرأ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ...﴾ [التوبة: ١٠٠] فأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبي بن كعب، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم، قال: وسمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: لقد كنت أرى أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبي تصديق ذلك في أول سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجُمُعَة: ٣]، وفي سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وفي الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥].
وفيه أخرج أبو الشيخ عن أبي أسامة ومحمد بن إبراهيم التيمي قالا مر عمر بن الخطاب برجل وهو يقرأ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] فوقف عمر فلما انصرف الرجل قال: من أقرأك هذا؟ قال: أقرأنيها أبي بن كعب قال فانطلق إليه فانطلقا إليه فقال: يا أبا المنذر أخبرني هذا أنك أقرأته هذه الآية؟ قال: صدق تلقيتها من في رسول الله ﷺ قال عمر: أنت تلقيتها من في رسول الله ﷺ؟ قال فقال في الثالثة وهو غضبان: نعم والله لقد أنزلها الله على جبرئيل عليه السلام وأنزلها جبرئيل عليه السلام على قلب محمد ﷺ ولم يستأمر فيها الخطاب ولا ابنه فخرج عمر رافعاً يديه وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفي تفسير الفخر الرازي ١٦: ١٧١ روى أن عمر بن الخطاب كان يقرأ والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان، فقال له أبي والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على هذا الوجه - بالواو - وانك لبيع القرظ يومئذ بالمدينة فقال عمر: صدقت شهدتم وغبنا وفرغتم وشغفنا.

(٢) المصدر أخرج أحمد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ اللّهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأزواج الأنصار ولذراري الأنصار كرشي وعيبتي ولو أن الناس أخذوا شعباً وأخذت =

. . . . . .

= الأنصار لأخذت شعب الأنصار ولولا الهجرة كنت امرأ من الأنصار، وفيه عن معاوية بن أبي سفيان سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحب الأنصار أحبه الله ومن أبغض الأنصار أبغضه الله، وفيه عن مسلم قال قال رسول الله ﷺ: آية الإيمان حسب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار.

وفيه عن ﷺ أنه قال: اللّهم صل على الأنصار وعلى ذرية الأنصار وعلى ذرية الأنصار، وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: لو سلك الناس وادياً وشعباً وسلكتم وادياً وشعباً لسلكت واديكم وشعبكم، أنتم شعار والناس دثار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ثم رفع يديه حتى أتي لأرى بياض إبطيه فقال: اللّهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار، وقال ﷺ ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وان كرشي الأنصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم، وقال ﷺ: لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر.

وفيه أخرج الطبراني عن السائب بن يزيد أن رسول الله ﷺ قسم الفيء الذي أفاء الله بحنين في أهل مكة من قريش وغيرهم فغضب الأنصار فأتاهم فقال: يا معشر الأنصار قد بلغني من حديثكم في هذه المغانم التي آثرت بها أناساً أتالفهم على الإسلام لعلهم أن يشهدوا بعد اليوم وقد أدخل الله قلوبهم الإسلام يا معشر الأنصار ولم يمن الله عليكم بالإيمان وخصكم بالكرامة وسماكم بأحسن الأسماء أنصار الله وأنصار رسوله ولولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار ولو سلك الناس وادياً لسلكت واديكم أفلا ترضون أن يذهب الناس بهذه الغنائم والنعم والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ؟ فقالوا: رضينا، فقال: أجيبوني فيما قلت قالوا يا رسول الله ﷺ وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور ووجدتنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله بك ووجدتنا ضلالاً فهدانا الله بك فرضيا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فقال: أما والله لو اجبتموني بغير هذا القول لقلت صدقتم، لو قلتم: ألم تأتنا طريداً فآويناك ومكذّبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وقبلنا ما رد الناس عليك، لو قلتم هذا لصدقتم، قالوا: بل لله ولرسوله المن والفضل علينا وعلى غيرنا.

وفي نور الثقلين ٢: ٢٥٤ عن أصول الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم بن بريد قال حدثنا أبو عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: إن للإيمان درجات ومنازل يتفاصل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم، قلت: صف لي رحمك الله حتى أفهمه، قال: إن الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان ثم فضلهم على درجاتهم في السبق إليه فجعل كلّ امرء منهم على درجة لا ينقصه فيها من حقه ولا يتقدم مسبوق سابقاً ولا مفضول فاضلاً، تفاضل بذلك أوائل هذه الأمة وأواخرها ولو لم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق إذا للحق أواخر هذه الأمة أولها نعم ولتقدموهم إذا لم يكن لمن =